

" حلم " نبوخذ نصر "

برجاء أن تقرأ (دانيال2) .

وهكذا شهد القرن السادس قبل ميلاد المسيح، عقاب اليهود على آثامهم، وبصفة خاصة عبادة الأوثان. لقد حذرهم الله مرارا، ولم يسمعوا؛ فرحلوا للسبي. إلا أن بقية تقيّة مُخلصه لله لم تزل ضمن تلك الأمة المرتدة، ويحتل أربعة منهم مناصب هامة في الخدمة المدنيّة البابلية، صار لهم نفوذ في "بابل" الوثنيّة.

لقد بدا أن إسرائيل سُمحي، كما بدا أيضا أن البقية القليلة المُخلصه للرب سوف تُباد. لكن الرب يوجّه التاريخ لفائدة البقية التقيّة، فهم موضوع عنايته الخاصة كما سنرى في السطور التالية.

ماذا رأى "نبوخذ نصر"؟

تخبرنا الأعداد الثلاثة عشر الأولى، في الأصحاح الثاني، عن ثلاثة أشياء رآها الملك "نبوخذ نصر".

أولاً: الحلم الذي رفض أن يرويّه أو يصفه، وكان ذلك في السنة الثانية لملكه، فكان قد ذهب إلى سريره يفكر في المستقبل. كان "نبوخذ نصر" دعامة الإمبراطورية البابلية؛ فمن الطبيعي أن يفكر في نهاية اليوم، ما عسى أن يحدث في السنين المُقبلة (29).

ولا يخفى على أحد، أن ما تنشغل به عقولنا على مدار اليوم، كثيرا ما يكون موضوع أحلامنا ونحن نائمون. ازدحمت في ذهنه المشروعات العظيمة، فعالبه النوم فنام، وفجأة اضطرب من حلم جعل قلبه يرجف. رأى حلما مزعجا، فطار النوم من عينيه، وانزعجت روحه. لم يكن حلما عاديا. لقد أراد الله أن يكشف لهذا الملك الوثني تصميمًا عاما لمقاصده. كان "نبوخذ نصر" عاجزا عن أن ينفذ هذا الحلم عن

فكره. لبث يفكر، وما أن بزغ نور الفجر حتى نهض الملك، واستدعى السحرة والمجوس والعرافين والكلدانيين والمنجمين؛ حتى يعرفوه بالحلم وتعبيره (2).

لقد كان في بلاطه الملكي نوعيات مختلفة من المتطفلين والمشعوذين. ويجب أن لا نخلط بين الكلدانيين المذكورين آنفاً، وبين الأمة التي تحمل نفس الاسم.

لقد أخبرهم الملك عن اضطراب روحه، ورغبته في معرفة مدلول هذا الحلم. لقد كان الحلم يطارده، ولا يستطيع أن يبعده عن تفكيره.

بدءاً من العدد الرابع إلى نهاية الأصحاح السابع من سفر دانيال، كُتبت باللغة السريانية، وكانت تُعرف بالكلدانية والآرامية. يسجل العدد الرابع إجابة هؤلاء. كانت إجاباتهم مشروطة بطلب. إنهم محقون في طلبهم، وإن كانوا قد طلبوه بصيغة متعطسة نوعاً ما. قالوا: "عش أيها الملك إلى الأبد، أخبر عبيدك بالحلم فنبين تعبيره". صف لنا ما رأيته، ونحن بدورنا نخبرك عن معناه.

مطلب معقول، ولكنه قابل بتهديد مُرعب. مثل هذه التهديدات كانت تصدر من الطغاة الشرقيين في ذلك الوقت، و"نبوخذ نصر" قادر على تنفيذ وعيده.

تطلع الملك إليهم بغيظ وقال: "قد خرج مني القول" - وهذا يعني أن القرار قد صدر - "إن لم تنبئوني بالحلم وتعبيره، تصيرون إرباً إرباً، وتجعل بيوتكم مزبلة".

وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذا لا يعني أن "نبوخذ نصر" قد نسي حلمه - كما يظن البعض - وإلا لما كان يزعجه. فإن كان الملك لم يستطع أن يتذكر الحلم، فإن نهاية عدد 9 تكون بلا معنى، بل لأنه يتذكر الحلم جيداً؛ فإنه يقدر أن يحكم، إن كانوا يُعرفونه به بدقة؛ وبالتالي يثق في تفسيرهم له. وكأنه يقول لهم: "إن وظيفتكم الأساسية أن تعرفوا الغيب وتكشفوا الأسرار، وتفسير الأحلام هو عملكم (5)، فالفشل

يعني دماركم، والنجاح يعني الإكرام وتقديم الهدايا لكم". فقد اعتاد حكام ذلك الزمان أن يُسرفوا في الإكرامات الموعد بها كما في عدد 6.

ثانياً: لم يكن الحُلم هو الشيء الوحيد الذي رآه "نبوخذ نصر"، لقد رأى أيضاً المنجمين يحاولون أن يكتسبوا وقتاً -كما نرى في الأعداد 7 - 11- لذلك هددهم بعنف.

كما رآهم أيضاً يجيبونه بكبرياء؛ فوجد أن التهديد علاج لكبريائهم، فترجعوا عن كبريائهم وكلموه في العدد السابع بصورة أكثر تهدياً: "ليخبر الملك عبيده بالحلم فنبيّن تعبيره".

لقد كان جواب الملك فظاً (8 ، 9) إذ قال لهم: "إني أعلم يقيناً أنكم تكتسبون وقتاً، فأنتم تأملون أن أُعدّل عن إفنائكم إذا فشلتُم في تفسير الحلم، فإن كنتم لا تستطيعون أن تخبروني بالحلم، فإنكم بذلك تؤكّدون لي أنكم مزيفون ونصّابون؛ ولذلك فلا يبقى أمامكم، غير القضاء الذي سبق أن نطقْتُ به.

فتمتم المنجمون قائلين: "ما تطلبه أبعد من قوة الإنسان. ما من ملك أو حاكم طلب أمراً بهذه الصعوبة من حكمائه. إننا عادة نفسّر الأحلام فقط، لكن أن تريد منا أن نخبرك ما الحلم، فهذا مستحيل على البشر العاديين. الأمر الذي تطلبه أيها الملك عسير، وليس آخر يُبينه قدام الملك غير الآلهة" (عدد10). عندئذ غضب الملك واغتاظ جدا (12).

ياله من مشهد مرعب!! أقوى رجل في العالم في غضب شديد. لم يقوَ على احتمال اعترافهم بعجزهم. كانوا يدّعون بفخر، أنهم يستطيعون كشف الأسرار، لكنه الآن استطاع أن يرى حقيقتهم. إنهم لا يستطيعون أن يخبروا الملك بالحلم الذي كان يؤرقه ويرعبه، فكيف يمكنهم أن يخبروه بما يعنيه الحلم؟ وازدادوا ذعراً وارتباكاً، حين سمعوا ملك "بابل" يقول "أبيدوهم جميعاً".

نزع الحُلم عن الملك سلامه، وحلَّ في رأسه سياق أحلام لا تنام، وطارده القلق؛ فأصبح في اضطراب شنيع. ولكي يتذوَّق طعم الراحة والسلامة والحياة؛ لابد أن يعرف ماذا تحمله له الأيام من وراء هذا الحلم؛ ولذلك لم يكن صبوراً على أولئك، الذين أعلنوا عجزهم عن مساعدته.

إن قول الملك: "أبيدوا كل الحكماء"، يعني إبادة الجميع، بما فيهم "دانيال" و"حننيا" و"ميشائيل" و"عزريا"، لا لأنهم كانوا منجمين – فقد رفضوا أن يتعاملوا مع أي شيء وثني لكن يجب ألا ننسى أنهم قد سبق وتعلموا الحكمة على يد حكماء "بابل"؛ فاعتُبروا أنهم منهم. وقرار الملك المتهور يعني نهاية البقية النقيّة التي تمسّكت بالحق الإلهي. في الأصحاح الأول نجوا من تجربة المساومة، والآن كيف لهم النجاة؟!

ماذا رأى "دانيال"؟

إجابة هذا السؤال في الأعداد من 14 إلى نهاية الأصحاح، إذ نرى أن "دانيال" رأى ثلاثة أشياء:

رأى من هو الله، ثم رأى الحلم وتفسيره، وأخيراً رأى نبوخذ نصر ذليلاً.

رأى أولاً من هو الله (14 – 23)؛ فأسرع في طريقه إلى رئيس الجند -المسئول والمنوط له بتنفيذ حكم قتل الحكماء- وتكلم معه بحكمة، فأبطأ رئيس الجند في تنفيذ الحكم.

وكانت الخطوة الثانية لـ "دانيال"، الذهاب إلى "نبوخذ نصر" الملك، فنراه في عدد 16 يتقابل معه، ويطلب متوسلاً: "أعطني وقتاً؛ وأنا التزم بأن أبين لك التعبير". من الواضح أن الملك قد وافق على طلبه هذا.

أما الخطوة الثالثة فنجدها في عددي 17 و18. لقد أسرع "دانيال" إلى البقية النقيّة، وأعلم أصحابه الثلاثة، وطلب منهم أن يجاهدوا معه في الصلوات، لا ليكون

ذا شهرة عظيمة كمفسر للأحلام، بل راجين رحمة من إله السماء؛ لإنقاذهم من الموت.

بدأوا في الصلاة والتضرع راععين على ركبهم أمام عرش النعمة، رافعين أصواتهم في حوارات مع الله: "يا رب، نحن بفتك وخاصتك، لقد صدر القرار بقتل كل حكماء "بابل"، ونحن معهم. إن ذلك القرار لو نُفذ لانتهدت وبادت خاصتك من كل الأرض؛ إسرائيل الحقيقي سينتهي. آه يا رب، أظهر رحمة لنا. أعطنا معرفة الحلم، وفهمنا ماذا يعني." من قراءة (1: 17) نعرف أن دانيال كان "فهيماً بكل الرؤي والأحلام"؛ موهبة خصه بها الله.

أمام توسلاتهم، لم يخيب الله آمالهم. استجاب لصلاتهم، ثم أعلن لـ "دانيال" السرّ في رؤى الليل (19)، وكشف الله الحلم له، فعرف ما رآه الملك وما يعنيه ذلك. لم يذكر "دانيال" ماذا كان الحلم مباشرة، لكن ما كُتب كان رد الفعل الفوري لـ "دانيال" "لما أعلن له. لقد انطلق في الحمد والشكر لله. لقد أصبح له فهم واضح للحلم وتفسيره. إنه أصبح لديه فهم أكثر لوجود الله وصفاته.

انظر ما يقوله عن الله في عددي 20، 21: "إن الله إله رؤوف وهو حكيم وقدير. إنه هو الذي يسيطر على التاريخ وليست الطبيعة ولا الأصنام."

إنه الرب الإله، يمارس سلطانه، ليس فقط في السماء، بل هنا على الأرض أيضاً. لا يمكننا أن نقول أننا نؤمن بسيادة الله وسلطانه، ما لم نؤمن بذلك.

إن "دانيال" قد أعطي حكمة أعلى من كل حكماء "بابل". لكن لاحظ ما يقوله في هذا الصدد: "إن كان لإنسان حكمة فقد أعطيت له من الله الذي منه تتبع كل الحكمة" (21)؛ لذا نراه يسرع بالاعتراف بأن فهمه لما يراه؛ هو بسبب رحمة الله التي لا يستحقها؛ لذلك قال: "إياك أحمد وأسبح، الذي أعطاني الحكمة والقوة" (عدد 22 و23). لقد رأى "دانيال" من هو الله.

فلنعْتَبِر نحن، ولنذكر أن كل ما عندنا، ليس أبداً عن استحقاق، ولا ندَّعي أي فضل لنا، بل نعطي الله وحده كل كلمات الشكر والحمد.

تعرفنا الأعداد 24 – 45 ماذا رأى "دانيال" في رؤى الليل. شكر "دانيال" الله على استجابة الصلاة، وهو يستعد للتوجه إلى الملك. لقد كان هناك نظام صارم جدا في البلاط الملكي لاقتراب أي شخص من الملك. لاشك أن ذلك قد لوحظ في عدد 16، وإن كان لم يكتب صراحة، لكن ذكر هذه المرة، إذ نقرأ في عدد 25 أن "دانيال" قد وصل إلى محضر الملك، عن طريق أريوخ، الذي نسب لنفسه الفضل، في اكتشاف الرجل الذي يمكنه أن يفسر الحلم.

وفي عدد 26 يسأل الملك "دانيال": "هل تستطيع أنت على أن تعرفني بالحلم الذي رأيت، وتعبيره؟"

أجاب "دانيال": "السر الذي طلبه الملك، لا يقدر الحكماء ولا السحرة ولا المجوس ولا المنجمون، على أن يبيّنوه للملك، لكن يوجد إله في السموات كاشف الأسرار، وقد عرف الملك "نبوخذ نصر" ما يكون في الأيام الأخيرة" (عدد 27 و 28).

إننا بمجرد أن نسمع "دانيال" يشير إلى "الأيام الأخيرة" ترجف قلوبنا. إن الكتاب المقدس يستخدم هذا التعبير دائماً؛ يشير إلى الفترة التي ما بين ولادة المسيح، وحتى نهاية العالم. إنها لم تُستخدم لتشير إلى الساعات الأخيرة قبل مجيء المسيح الثاني – كما يتخيّل المسيحيون أحياناً – بل الفترة الكاملة لتاريخ العالم بدءاً من مذود بيت لحم.

إن حلم "نبوخذ نصر" يخبرنا ببعض الأمور عن الفترة التاريخية التي لازلنا نحياها.

جلس الملك، وكله انتباه؛ ينتظر ما يتكلم به "دانيال"، هذا الفتى اليهودي. واستهل "دانيال" إعلان السر للملك، بأن أخبره قائلاً: "إن هذا الحلم هو جواب الله عن أفكارك على فراشك، فحين ذهبت لتنام، كنت تتساءل عن المستقبل، وكاشف الأسرار يُعرِّفك بما يكون. أمّا أنا أيها الملك فلم يُكشف لي هذا السر لحكمة في أكثر من كل الأحياء، ولكن لكي يُعرّف الملك بالتعبير، ولكي تعلم أنت أفكار قلبك.

بدءاً من الأعداد 31 – 35 يصف "دانيال" ما رآه الملك، ويأخذنا إلى ذروة الأصحاح؛ فقد رأى في حلمه تمثالاً عظيماً (31). كان كله من المعدن. كان يلمع وكأن الشمس تشرق فوقه. إن بريقه وحجمه جعلاً منه مشهداً مخيفاً ومفزعاً. رأى الملك أن أجزاء التمثال -ماعداء واحدة- تتألف من معادن مختلفة؛ فالرأس كان مصنوعاً من الذهب الجيد (32)، صدره وذراعه من فضة، بطنه وفخذه من نحاس أصفر، ساقاه من حديد (33)، غير أن قدميه بعضهما من حديد والبعض من خزف.

حدث بعد ذلك أمر أكثر غرابة - فبينما الملك ينظر إلى التمثال، قُطع حجر بغير يدين. ليس هناك إشارة إلى مصدره. ظهر وكأنه لم يأت من مكان ما. كل ما رآه الملك، أن هذا الحجر الضئيل، سقط على قدمي التمثال فسحقهما (34). وفي الحال انهار التمثال بأكمله، وصار كحطام التبن ودُفّاقه، وحملته الريح؛ فلم يوجد له مكان (34 و35). لقد انتهى كل ما كان مُفزعاً، وكل ما كان يبدو دائماً وهائلاً.

أما الحجر الذي ضرب التمثال، فبدأ ينمو حتى صار جبلاً كبيراً، وملاً الأرض كلها (35).

نظر "دانيال" للملك وقال: "هذا هو الحلم، فنخبر بتعبيره قدام الملك" (36) :-

(الرأس) أيها الملك "نبوخذ نصر" هو أنت. أنت قوة عالمية. أنت مملكة. أنت إمبراطورية. أنت هذا الرأس من ذهب (37).

نلاحظ هنا أن "دانيال" يصف الملك شخصياً. لم يعط انطباعاً أنه يتكلم عن إمبراطورية بابلية مزدهرة، كما يعتقد البعض.
(الصدر والذراعان) هما إمبراطورية أيضاً – يَدُّ أنها أقل قوة – تقوم من بعدك (39).

(البطن والخصان) قوة عالمية أخرى تلي الثانية (39).
(الساقان والقدمان) قوة تتبع الثالثة، وتتسلط على كل الأرض. تلك الإمبراطورية الرابعة ستكون في قوتها كالحديد الذي يُكسَّر، تسحق وتُكسَّر كل هؤلاء.

(القدمان والأصابع)، بعضها من خزف والبعض من حديد، قد يكون فيها ما يشير إلى أنها تنقسم إلى قسمين: أحدهما يبقى قوياً، والآخر سيكون هشاً ضعيفاً. وكما أن الحديد مختلط بخزف الطين – وهما عنصران لا يتحدان – هكذا ستكون تلك الإمبراطورية الرابعة، عاجزة تماماً على الاتحاد.

أما الحجر الصغير، فيشير إلى حدث عظيم سيحدث في خلال فترة الإمبراطورية العالمية الرابعة: "وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبداً، ومُلْكها لا يُترك لشعب آخر، وتسحق وتُفني كل هذه الممالك، وهي تثبت إلى الأبد" (44). "لأنك رأيت أنه قد قُطِعَ حجر من جبل لا بيدين، فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب. الله العظيم قد عرفَ الملك ما سيأتي بعد هذا. الحلم حق وتعبيره يقين" (45).

وهكذا رأى "دانيال" أولاً، من هو الرب، ورأى ثانياً الحلم وتفسيره، والمشهد الثالث الذي رآه كان شيئاً لم يتوقعه أحد في "بابل" (46 – 49).
لقد رأى "دانيال" الملك "نبوخذ نصر" ذليلاً، ورأى الرب الحقيقي ممجّداً، والبقية النقية مُكرّمة.

حينئذ خرَّ "نبوخذ نصر" على وجهه لـ "دانيال" (46)!! من ذا الذي يتوقع رؤية أقوى رجل في العالم، يقوم من عرشه، ويخرَّ على وجهه أمام "دانيال"، ويسجد له؟ ذلك الذي لم يحن رأسه قط لملك آخر، يخر ويسجد، ويأمر أن يقدموا لـ "دانيال" تقدمة وبخوراً.

يظن البعض أن "نبوخذ نصر" قدَّم عبادة وإجلالاً لـ "دانيال"، مما يجب تقديمه لله وحده، لكن ذلك لم يحدث، فهذا المشهد يذكّرنا بحادثة مشابهة في حياة الإسكندر الأكبر، فعندما جاء إلى "أورشليم" سقط عند قدمي رئيس الكهنة، فويّخه أحد مساعديه، إلا أن "الإسكندر" أجابه قائلاً: "أنا لا أعبد رئيس الكهنة، لكن أعبد الله وأكرمه في شخص رئيس الكهنة". وهذا ما فعله "نبوخذ نصر"، فقد سقط عند قدمي "دانيال"، لا لكي يعبد كإله؛ بل اعترافاً بـ "دانيال" أنه المتحدث عن الله، وأن إلهه هو "إله الآلهة ورب الملوك، وكاشف الأسرار" (47).

من ذا الذي يتوقع أن كل هذا يحدث في ساعات، فمنذ قليل كان يبدو مؤكداً أن الأتقياء سوف يبادون وينتهون للأبد، والآن نرى الملك يعظّم "دانيال" ويعطيه عطايا كثيرة، ويُسلّطه على كل ولاية "بابل"، ويجعله رئيس الشحن⁽¹⁾ (48)، كما نال أصدقاؤه "حننيا" و"عزريا" و"ميشائيل" مناصب أعلى؛ إذ عيّنوا على أعمال ولاية "بابل".

إن البقية الأمانة ليست في أمان فقط، بل أصبحت الآن ذات نفوذ. لقد واجهت كل شيء ضدها. رفضت أن تعمل شيئاً خطأً كرّست نفسها لصلاة متحدة، وهكذا لم تنته البقية النقيّة، وأصبحت محل أنظار العالم.

(1) حتى الآن لم يستطع علم الحفريات أن يوضح لنا ماذا كان اختصاص تلك الوظيفة برغم أن المسمى قد وجد بين النقوش القديمة.

تلك هي الطريقة التي يُحفظ بها كل من يشهد للرب في العالم. كم هو رائع أن نحفظ هذه الدروس في قلوبنا!!

ماذا يجب أن نرى؟
في هذا الأصحاح لاحظنا ما رآه "نبوخذ نصر"، وما رآه "دانيال". ونحن، ماذا يجب أن نرى؟!

بالإضافة إلى بعض الدروس المستفادة التي أشرنا إليها من قبل، فهناك ثلاثة أمور رئيسية:
أولاً: يجب أن ندرك أن كلمة الله صادقة؛ فقد تكلم "دانيال" بالكلمات التي أعطاه الرب إياها، وكلها حدثت فعلاً، فإمبراطورية "نبوخذ نصر" العالمية قد تلاها ثلاث إمبراطوريات أخرى. وإننا لسنا بحاجة إلى تخمين، لمعرفة الإمبراطوريات المشار إليها في الحلم وتعبيره؛ لأن ثلاث منها ذكرت فعلاً في سفر "دانيال"، وأما الرابعة فهي التي نتضح لنا بواسطة الرب يسوع المسيح.

إن هذه النقطة تحتاج تركيزاً، في وقت كُتب فيه العديد من المتناقضات عن الرؤيا التي في الأصحاح الثاني. وليس هناك مجال للشك عن هويّة تلك القوى العالمية المشار إليها هنا.

على أية حال، لم ير "نبوخذ نصر" أربعة تماثيل، بل واحداً فقط. وكل الإمبراطوريات التي تكلم عنها "دانيال" هي نفس الإمبراطورية؛ فالثانية تسود على الأولى والثالثة تسود على الثانية والرابعة تسود على الثالثة.

الأولى كان لها وريث، وكذلك الثانية والثالثة، أما الرابعة فلم يكن لها وريث.

وفي الفترة التي كانت فيها الإمبراطورية الرابعة، قامت مملكة أخرى، والحجر الصغير حطّمها. ويمكن أن يقال أنه لم يحطّم الإمبراطورية الأخيرة فقط، بل حطّم الإمبراطوريات الأربعة.

اختفت "بابل" كقوة عالمية؛ عندما فُهرت من "مادي وفارس"، ثم فُهرت إمبراطورية "مادي وفارس"، وأدمجت في الإمبراطورية اليونانية. والإمبراطورية اليونانية حلّت محلّها الإمبراطورية الرومانية. وفي أيامها قامت إمبراطورية أخرى غدت تنمو، وأصبحت لا نهاية لها.

يا لها من رؤيا عجيبة حقا!! فواحدة من الإمبراطوريات الأربعة كانت في وحدة كاملة، هي "بابل"، التي وُصفت برأس التمثال. و"مادي وفارس" لم تتمتع بمجد "بابل"؛ لذا وُصفت بالفضة، فالفضة ليست أفضل من الذهب، إذا قورنت به. تبعثها الإمبراطورية اليونانية تحت حكم "الإسكندر الأكبر"، ولم تكن في بادئ الأمر مقسّمة، لكنها انقسمت إلى ساقين مرتكزين على سوريا ومصر. أما الإمبراطورية الرومانية فقد كانت قسّمين عظيمين: قسم شرقي وآخر غربي، وفي النهاية انقسمت إلى عشر ممالك صغيرة كأصابع القدم عددا وصغرا، وهو موضوع خارج عن نطاق الأصحاح الذي ندرسه الآن.

جاء إلى العالم في أيام حكم الرومان ذلك (الحجر)، غير المعلوم المصدر، لا بداية له؛ لأنه كان موجودا قبل كل الأزمان، الذي قال عنه يوحنا المعمدان: "إن الذي يأتي بعدي صار قدامي لأنه كان قبلي" (يوحنا 1 : 15).

جاء ابن الله السرمدى.
جاء طفل بيت لحم، ولم يُلَنَقْ إليه.
جاء ليؤسس مملكة أبدية.

كل الممالك مدفونة في التراب، لكن مملكة المسيح باقية؛ تنمو وتدوم إلى الأبد، ولن ترثها مملكة أخرى.

هكذا حدث كل شيء؛ فما يقوله الله هو صدق. إن أصحابا كهذا يجدد ثقتنا في كلمة الله، ويجعلنا نعيش في صحبتها. هذا الأصحاب يجعلنا نرى من جديد أن "أحكام الرب حق عادلة كلها" (مزمور 19 : 9). فينبغي أن نقدّر ها ونرتكز عليها، كما لم نفعل من قبل.

ثانيا: علينا أن نرى أيضا شيئا آخر: "أن التاريخ في يدي الله". لقد كُتب "سفر دانيال" في القرن السادس قبل الميلاد، وكثيرون يخالفون هذا الرأي، ويصرّون على أنه كُتب في القرن الثاني قبل الميلاد.

هذا الرأي مرفوض تماما، وإنني أنصح المهتمين بذلك، بالرجوع إلى أبحاث " E . J . Young"، كما أن "Robert Dick Wilson" وآخرين أوضحوا استحالة مثل ذلك الرأي الخاطيء. والسبب في انتشاره؛ أن كثيرين لا يقبلون فكرة التنبؤ بالمستقبل. إنهم لا يصدّقون أن كلمة الله لها أن تتنبأ بدقة، بأحداث قبل أن تحدث.

هذا هو السبب الأساسي، الذي من أجله لم يُلتفت كثيرا إلى رأي العلماء، الذي يزعم أن "سفر دانيال" كُتب في القرن السادس قبل الميلاد. لكن ذوي البصيرة المفتوحة، يرون أن مزاعم هؤلاء العلماء مُقنعة تماما.

والأهم من ذلك ما قاله الرب يسوع في عبارة واضحة، جاءت في (مرقس 13 : 14): "فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها "دانيال" النبي". هذا يعني أن "دانيال" هو كاتب السفر. ومن يجرؤ أن يقول أن ابن الله الكامل كان مُخطئا؟!!

إذن بكل ثقة نقول إن الأصحاح الثاني من "سفر دانيال" قد سجل التاريخ قبل أن يحدث. وكيف يتم ذلك، ما لم يكن الله هو المسيطر على التاريخ؟

لا يكفي أن يُقال إن الله رأى مُسبقاً ما سوف يحدث. وهل كان في الإمكان أن يفعل ذلك، دون أن يكون لديه تقدير وسيطرة على ما قد رآه؟ وهل كان يمكن أن يراه مُسبقاً، دون أن يكون مسيطراً على الأحداث التي رآها؟ ولا يمكن لأحد أن يتنبأ تنبؤاً معصوماً، بما لا يستطيع أن يسيطر عليه تماماً.

هذا ما تعلمه لنا الكتب المقدسة، إنها تخبرنا أن الله: "صنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض، وحتّم بالأوقات المعيّنة، وبحدود مسكنهم" (أعمال 17 : 26).

أخبرنا "دانيال" مُسبقاً أن الله هو الذي يُنصّب ملوكاً ويعزلهم (21). إن الله يسيطر على التاريخ. إنه شعور رائع وأنا أكتب هذه الصفحات؛ فأنا لا أعيش في كَوْن بدون نظام، بل أعيش في عالم تتم فيه إرادة الله ومشيئته، رغم حدوث أحداث مرعبة ومخيفة، كما في أيام الإمبراطوريات التي ذُكرت في هذا الأصحاح. إن كل ما يحدث فهو من ترتيب الله. إن الله لا يزال على العرش.

ثالثاً: والأمر الثالث الذي أود أن أشير إليه: أنه ليس هناك أي سبب يجعل المؤمن محبطاً.

لقد أسس المسيح (الحجر الصغير) مملكة، مملكة ليست سياسية، وأكد تأكيداً قاطعاً: "مملكتي ليست من هذا العالم" (يوحنا 18 : 36)، وأوضح لنا المملكة: "ها ملكوت الله داخلكم" (لوقا 17 : 21). إن مملكة المسيح مملكة روحية.

في كل أنحاء العالم يحكم المسيح قلوب الرجال والنساء، الشباب والأولاد والبنات. لقد أوجد أمة جديدة من كل الأمم، وأنشأ جنسا جديدا من شعوب من مختلف الأجناس.

لقد تحطمت الفواصل بين اليهود والأمم، بين العبيد والأحرار، بين البرابرة واليونانيين. مملكة المسيح لا تقاس بحدود على خرائط؛ إنه يحكم في قلب أولئك الذين أتوا ببشارة الإنجيل ليُتحدوا به.

لقد أسس المسيح مملكته بسلطان من إله السماء (44)، بدأت في أيام الإمبراطورية الرومانية – كما تنبأ "دانيال" - ولن تنتهي. سيبقى المسيح فيها ملكا أبديا لن يأتي بعده آخر. هو الرب القدير؛ لذلك لن تنهزم مملكته، ومواطنوها لن يُخطفوا منه، ولن يتمردوا عليه؛ لأن كل واحد منهم اختار أن يكون من رعيتِهِ.

يالها من مملكة رائعة!! تلك التي تكلم عنها هذا الأصحاح. لا شيء يستطيع أن يمنع نمو تلك المملكة، ومن هذه الحقيقة نستمد الشجاعة؛ فالانتصار مُحقق على كل معارضيها.

قد يُحرق المؤمنون أحياء، كما فعل "نيرون"، أو يُلقون في جب الحيوانات المفترسة، أو يُنْفون إلى الجزر النائية، وقد يُطرحون في ظلام السجون، ويُعدَّبون بقسوة، أو يُعدمون علنا. كل هذا لن يوقف تزايد عددهم.

إن دم الشهداء يروي بذار الكنيسة؛ فتنمو المملكة، وتنمو، وتنمو إلى أن تصبح جبلا يملأ الأرض بأكملها.

هذا لا يعني أن كل الناس سيخلصون، ولكنه يعني أنه في النهاية سيكون أناس من كل أمة ولسان متَّحدين في الجماعة السماوية، مسبِّحين للرب يسوع قائلين: "مستحق هو الخروف المذبوح.." (رؤيا 5 : 12).

إن مملكة المسيح مملكة أبدية، وسيأتي اليوم الذي فيه يقضي على كل رياسة وكل سلطان وكل قوة (1كو15 : 24).

إن السلطان الوحيد الذي سوف نراه عندئذ هو سلطانه، وكل الكون سيعترف بسيادته، وعندئذ نسمعه يقول: "تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم" (متى 25 : 34).

لاشك أن شعب الرب سيكون دائما بقيّة، أقلية صغيرة، لكن ما نتعلمه من هذا الأصحاب، يؤكد لنا أن البقيّة ستكون موجودة دائما، وفي نمو متزايد؛ حتى تملأ الأرض.

ليس هناك ما يدعو لأن نخاف من المستقبل؛ فتابوت العهد يسير وحده بسلام، وليس بحاجة إلى أن نضع أيدينا عليه لننبتّه. إن مستقبل مملكة المسيح آمن، حسب وعوده التي جاءت في هذا الأصحاب. إن مملكته لن تزول، وعن قريب ستكون هي المملكة الوحيدة.

هذا السبب يدعونا أن نكرّس كل مالنا، وكل كياننا من أجل مملكة المسيح. كما يجب أن نكرّس كل أملاكنا ومواهبنا وطاقتنا من أجل العمل العظيم لربح الآخرين للرب. لا نفشل، نحن نبذر البذار، وليست كلها تنمو -أو حتى أغلبها- ولكن بعضها دائما يفلح، وعندها تأتي نفوس أخرى لتحتيا تحت سيادة المسيح.

ما أروع أن تكون عضوا في تلك المملكة!! وكم هو مرعب أن تكون خارجها للأبد؛ بسبب عدم الإيمان وعدم التوبة.